مدرسة الصمود والاقدام في تل الزعتر

الدكتور نجيب ابو حيدر

الصمود في الحرب فضيلة عسكرية من الطراز الاول ، ودليل حسي على ان افراد القوه الصامدة أمام الهجمات المتلاحقة المتسمة بالتصميم والاستمرارية يقاتلون من اجل هدف سام يؤمنون به ؛ ومثل عليا يسعون الى تحقيقها . ويمتلكون قسطا عاليا من الشجاعة النفسية التي تعني وجود الخطر وتحس بالخوف ، ولكنها تسيطر عليه وتقهره ، لانها تعرف بالممارسة القتالية ودراسة التاريخ ان الخطر الناجم عن الصمود اقل بكثير من المخاطر المادية والمعنوية التي ترافق التخاذل والتخلي عن الموقع .

ويقف الصمود دائما في مواجهة الاقدام . وهذا لا يعني ان الصمود متناقض مع الاقدام فكلتا الصفتين تنبعان من مصادر سامية واحدة . ولكن اولاهما تظهر في العمليات الدفاعية وصد الهجمات المعاكسة ، على حين تظهر الثانية في العمليات الهجومية وخلال الهجمات المعاكسة . ولا يكشف الصمود او الاقدام مثل موقف الخصم . فكلما ازدادت شراسة الخصم وحدة هجماته وتواترها اخذت فضيلة الصمود مغزاها واوتفع مستواها ، وكلما اختل ميزان القوى لصالح الخصم كان الاقدام في الهجمات المعاكسة حقيقيا يستحق الاعجاب . هذه هي الحقائق التي طرحتها امامنا معركة تل الزعتر ، وفي ضوء هذه الحقائق يمكن فهم مغزى القتال البطولي الذي كشف فضيلتي الاقدام والصمود لدى القوات الفلسطينية التي دافعت عنه خلال ٥٢ يوما وبرهن على تحليها بالقوى المعنوية العالية والكفاءة القتالية النادرة .

لقد كان مثلث « تل الزعتر ــ جسر الباشا ــ النبعة » دائما موقعا متقدما للثورة الفلسطينية والقوى الوطنية داخل المنطقة التي تسيطر عليها الكتائب وحلفاؤها (القوات اللبنانية) كما كان ، بحكم موقعه ، شوكة الى جانب هذه المنطقة ، وخطرا يهدد مؤخراتها وتحرك قواتها . لهذا كان من الطبيعي ان يفكر الكتائبيون وحلفاؤهم بتصفية هذا المثلث منذ اندلاع الاحداث في نيسان ١٩٧٥ . ولكن ميزان القوى لم يكن يسمح لهم بذلك ، فاكتفوا بتطويق المثلث الذي غدا جيب مقاومة مغزولاً تقريبا عن القوى الصديقة .